اسم الدرس : تفسير سورة محمد (١) | الآيات (١-٤)

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أهلًا بكم في هذه الدورة المباركة من دورة بصائر، التي تمر على جميع أو بعض العلوم الشرعية بحيث يكون الإنسان مبنيًّا في دينه، هذه الدورة بإذن الله عزَّ وجل في موسمها الرابع، أسأل الله عزَّ وجل أن يتمها لنا على خير مع موقع الطريق إلى الله، وأسأل الله عزَّ وجل أن يبارك في جهدهم.

قد اخترنا سور من قبل -وهم في الموقع بفضل الله قد اختاروا مع مشايخ أُخر وقفات مع سور أخرى- بفضل الله عزَّ وجل وأسأل الله عزَّ وجل أن يتم لنا على خير، هذا الموسم سنكون معكم بإذن الله في سورة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وقفات ستكون خلال أربع حلقات، مُدة الحلقة بإذن الله لا تطول حيث سنمر مرورًا سريعًا، لأنَّ الوقوف في التحليل التفصيلي مع سورة من كتاب الله يستغرق وقت طويل وكُتبت فيه تفاسير كثيرة، ولكننا سنحاول المرور على رؤوس العناوين الأساسية مع تحليل لبعض الآيات بإذن الله عزَّ وجل التي نظُنها مهمة لكل مسلم ومسلمة.

مقدمة عن سورة مُحَمَّد

هذه السورة العظيمة حتى الاسم سورة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، فأي إنسان ينتسب لهذا الدين لابد أن يشهد ألا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتخيل حينما يختار الله عزَّ وجل اسمًا لسورة من كتابه:"سورة مُحَمَّد" أو توقيف من الله سبحانه وتعالى لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ اسم هذه السورة سورة مُحَمَّد.

قبل أن نبدأ كالعادة كما قمنا من قبل في برنامج "آيات تتلى" في سورة الأعلى وسورة الملك نريد أن ننظر سريعًا على السورة نظرة نُعايش بها السورة قبل أن نبدأ في التفسير أو الوقفات التحليلية مع آيات هذه السورة.

حينما ننظر لسورة مُحمَّد ننظر أولًا إلى:

- موقعها في المصحف،
- و موقعها النزولي؛

فلكل سورة موقعها في المصحف وموقعها في النزول، أحيانًا بالنسبة لموقعها في النزول يكون من خلال أن لدينا آثار نحدد من خلالها متى نزلت هذه السورة سواء مكية أو مدنية أو تحديدًا في أي عام مثلًا الثاني أو الثالث إذا كان هناك آثار تساعدنا أو آيات تساعدنا على هذا التحليل.

فموقع سورة محمد النزولي أنها سورة مدنية بعضهم نقل هذا بالإجماع والخلاف فيه خلاف ضعيف. فهي سورة مدنية تتكلم عن القتال وكما روي عن بعض السلف كل سورة ذُكر فيها القتال فهي مدنية أو فهي مُحكمة أي لا يوجد بها ما هو منسوخ،

لكن عندما ننظر **لموقعها في المصحف** -وكما ذكرتُ من قبل أيضًا في برامج أخرى- مسألة ترتيب المصحف هل هو توقيفي أم توفيقي؟ أي توقيف من عند الله سبحانه وتعالى، هذا بأمر من الله سبحانه وتعالى، أم اجتهاد وُفّق فيه الصحابة؟، أيًا كان فمن المؤكد أن يكون للترتيب غرض وغاية. عندما ننظر في ترتيب المصحف نجد أنَّ سورة مُحمَّد تقع بعد شَوط طويل نُطلق عليه "آل حم" أو بعضهم يُطلق عليه "الحواميم" وهي مجموعة من سبع سور بدأت بغافر ثم فُصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف. مجموعة من سور متتالية بدأت جميعها بـ {حم} ثم جاءت سورة مُحمَّد.

انتبهوا معي قليلًا في هذا الترتيب، ثم **سورة مُحمَّد أو سورة القتال** -اسم ثانٍ لها- وبعدها سورة الفتح ثم سورة الحجرات، حينما نتخيل هذه المنظومة؛ السبع سور ثم ثلاث سور منظومة متتالية نشعر فيها بنوعٍ من الترابط -سأذكر ذلك بإذن الله سبحانه وتعالى-، وهذا نوع من الاجتهاد أسأل الله عزَّ وجل أن يوّفقنا ويتقبل منا.

حم لا يُنصرون

وبعد أن نلقي نظرة على هذا الترتيب نجد أيضًا بعض الذين اجتهدوا سواء من المتقدمين أو المتأخرين كالدكتور مُحمَّد أبو موسى في تفسيره لمجموعة آل حم ثم علاقة سورة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم بـ آل حم، نجد حديث رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو بعض من الصحابة أنهم كانوا يقولون أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لهم عند القتال -السورة سورة قتال انتبه- (إذا بُيِّتُم وهجم عليكم العدو فإن شعاركم :حم لا ينصرون)[1] شعار المؤمنين حتى يعرف بعضهم بعضًا في الليل أو عند اختلاط والتحام الصفوف فكانوا يضعون لأنفسهم شعار فإذا نزل الليل عليهم عرفوا بعضهم -أشبه بكلمة المرور أو السر-فكان هذا الشعار "حم لا يُنصرون"، فكان هذا هو شعار المؤمنين؛ شعارنا عند القتال بأمر وتوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم "حم لا ينصرون". إذًا عند القتال -وهُنا السورة سورة القتال- كلمة "حم"

وقد اختلف العلماء عن معنى "حم لا ينصرون" وفي تفسير الحديث بعضهم قال هذه **قَسَم**، وبعضهم قال **اسم من أسماء الله**، وهناك من قال -كالإمام الطيبي وغيره- : **أي بفضل هذه السورة أو بمنزلة هذه السورة عند الله سننتصر**، "لا يُنصرون" وكأنه دعاء أو استفتاح.

ترتيب السور "آل حم" ثم محمد ثم الفتح ثم الحجرات

إذًا عندنا في الحديث وفي المعارك هناك حم، وقتال ونصر ،أيضا **في ترتيب االمصحف آل حم ثم قتال -سورة محمد- ثم فتح -في سورة الفتح- ثم سورة الحجرات**. ماذا يعني هذا الترتيب سورة محمد ثم الفتح ثم الحجرات؟

عندما ننظر في سور آل حم نجد أنَّ **السبع سور بدأت بـ {حم} ثم ذِكر للوحي وذِكر للكتاب**

غافر: {حمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ}

فصلت: {حمٓ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}

---

١ [عن المهلب بن أبي صفرة:] إن بيِّتُم فليَكن شعارُكم حم لاَ ينصرونَ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ٢٥٩٧ • صحيح

الشورى كذلك بعد عسق: {كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} الوحي.

الزخرف والدخان كلاهما: {وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ}

الجاثية والأحقاف كلاهما: {تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ}

فكل السور بدأت بالوحي وبدأت بالقرآن ونجد أنَّ من أول آية في سورة غافر {مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ} لذلك بعضهم ذكر–وكنت قد ذكرت هذا في درس في سورة غافر، وقفات مع سورة غافر، تجدونه على الساوند كلاود– **كان من المواضيع الرئيسية لسور "آل حم" جميعها؛ المجادلة في آيات الله،** هناك من الكفار مَن يجادل في آيات الله فيُقيّض الله عزَّ وجل رجالًا من أهل الحق يجادلونهم ويدفعون عن دين الله سبحانه وتعالى، ولكن يجادلون عن دين الله باللسان.

إذًا لدينا سبع سور متتاليات من وظائفها الرئيسية أننا ندافع عن دين الله باللسان، نُبيّن الحُجّة، هم يجادلون ونحن نجادل؛

- في سورة غافر فرعون يجادل فقام له مؤمن آل فرعون يجادلهم ويدفع عن دين الله سبحانه وتعالى،
- في سورة فصلت كما جاء أبو الوليد للنبي صلى الله عليه وسلم فقام النبي صلى الله عليه وسلم ودافع وقرأ عليه سورة فصلت،
- في سورة الشورى أيضًا هناك جدال،
- في سورة الزخرف كذلك يُزيّنون.

كل سورة تُبيّن لبنة من بناء أهل الحق لمواجهة أهل الباطل ولكن فيمَ؟ –انتبهوا معي– في المجادلة، أي في المحاجّة، سبع سور متتاليات ونحن ندعو إلى الله وندافع عن دين الله باللسان نجد أنَّ **مَن ينظر إلى "آل حم" يجد آيات الله مبثوثة ومنشورة، أي نحن نُدلّهم على آيات الله الكونية وآيات الله القرآنية ونكرر وندافع ونشرح ونُفصّل ونُبيّن ونُحاجّ ونجادل عن آيات الله، وكل هذا لم يُجْدِ ولم ينفع معهم،** كل هذه المجادلَة طوال آل حم و مازال هناك إعراض، حتى لا أطيل عليكم كل سورة من "آل حم" لها دور وفيها وظيفة، هم يقومون بأفعال فنحن لابد أن ندافع،

- في سورة الزخرف هم يُزيّنون الباطل ويُزخرفونه فنحن نقوم بشيء مقابل،

- سورة الشورى {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ} [الشورى ١٣] نحن لدينا شرع وهم يتبعون شرع آخر {أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ} [الشورى ٢١] نحن لدينا شرع حق وهم عندهم شرع باطل، نحن معنا الوحي الحق وهم يُزخرفون الباطل،
- حتى نصل لآخر صفحة في "آل حم" في آخر صفحة في الأحقاف، قمة الإعراض، قمة الجحود لدرجة أنَّ الله تعالى ذكر في آخر صفحة في "آل حم" التي هي آخر صفحة في سورة الأحقاف ويمكن أن نعتبرها ختام لكل آل حم، استمر الإعراض والجحود لدرجة أخبر الله تعالى أنَّ الجن أقبلوا على كتاب الله وكأن المشركين لم يُقبلوا فعوّض الله عزَّ وجل النبي بدلًا منهم بالجن {وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ} [الأحقاف ٢٩] آخر الأحقاف، آخر آية {فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ} [الأحقاف ٣٥] وآخر كلمة {بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ} [الأحقاف ٣٥]

ثم {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [محمد ١] في سورة مُحَمَّد،

كيف نعمل لدين الله؟

ماذا يعني هذا الكلام؟ كيف نعمل لدين الله؟

أولًا نبدأ بالدعوة،

سيقوم مَن يرفض الدعوة ويجادل ويُلقي الشبهات، نَرُدّ عليه، وتظل هذه المعركة الطويلة التي استمرت لسبع سور متتاليات في آل حم، ولا نستعجل بالجهاد، نبدأ أولًا نُبيّن ونوّضح ونُفصّل فإذا أعرضوا وأصرّوا على الإعراض انتقلنا إلى المرحلة التالية؛

مرحلة القتال التي لابد منها إذا استمر الإعراض؛ لذلك من الكلمات التي تكررت في سورة مُحَمَّد ثلاث مرَّات: {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} لم يكتفوا بالكفر بل {وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} تكررت ثلاث مرَّات، مرَّة بدون إنَّ ومرَّتين بإنَّ تأكيد على أنَّهم أصرّوا واستكبروا استكبارًا، أصرَّوا على العناد ، لم يكتفوا بالكفر بل وقفوا حائطًا منيعًا، **الصّد بمعنى الدفع بغلبة وبقوة**، أصرّوا على منع دخول النَّاس في دين الله، هنا لا بُد أن يأتي القتال والجهاد.

لذلك بدأت السورة بقول الله سبحانه وتعالى {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} **أضافوا إلى الكفر الصد عن سبيل الله** وكما ذكرت لكم **هذا المعنى تكرر ثلاث مرَّات في السورة**... إذًا هذا موقعها في المصحف؛ بعد كثير من المحاجّة والمجادلة، حان وقت قتالهم.

تسمية السورة ب"محمد"

أيضًا اسم السورة: مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم

نجد أنَّ كلمة مُحَمَّد وردت في القرآن في أربعة مواطن:

- سورة آل عمران {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول} [آل عمران ١٤٤].
- سورة الأحزاب {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَد مِّن رِّجَالِكُمْ} [الأحزاب ٤٠].
- هُنا العجيب أنَّ كلمة مُحَمَّد لم تأتِ في السورة كلها إلا {وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّد} [محمد ٢].- وهذا له دلالة نَذكُرها بإذن الله عزَّ وجل لاحقاً-
- وجاء اسم مُحَمَّد في الموطن الرابع في سورة الفتح {مُّحَمَّد رَّسُولُ ٱللَّهِ } [الفتح ٢٩].

نجد أنَّ الأربعة مواطن فيها قتال وبذل وتضحية، سواء في أُحد في آل عمران، أو في الأحزاب، أو هُنا في سورة القتال سورة مُحَمَّد، أو سورة الفتح في الحُديبية وغيرها من المعارك.

إذًا السورة على اسم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وقد كان من المتوقع لو أني اقرأ لأول مرَّة سورة مُحمّد فمن الممكن أن نتخيل أنَّها ستكون قصة حياته صلى الله عليه وسلم مثل سورة يوسف، أو بداية الأحداث التي مرَّ بها في الحياة مثل سورة القصص مع سيدنا موسى، أو قصة سيدنا موسى مع فرعون كما في سورة الأعراف أو بعض قصص الانبياء مثل السور الأخرى كالشعراء وغير ذلك.

فتكون المفاجأة أنَّ سورة مُحمَّد لا يوجد فيها ذِكر لقصة حياته صلى الله عليه وسلم، ولكن للمجهود الذي بُذل لنصرة هذا الدين، لمنهج سار عليه المؤمنون، إذًا سورة مُحمَّد تُعطي رسالة " إذا أردتم منهجه فعيشوا على ما عاش عليه وقوموا بالبذل الذي بذله هو والمؤمنون معه"

إذًا هُنا في السورة الذي يريد اتّباع مُحمَّد صلى الله عليه وسلم لا بُد أن يسير على طريقه، القضية ليست في الارتباط بالنسب {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَد مِّن رِّجَالِكُمْ} [الأحزاب ٤٠] **وهذه هي الإشكالية الأساسية عند الشيعة، هم يريدون ربط الدين بالنسب فقط**، ونسب مُحمَّد صلى الله عليه وسلم نسب شريف، إذا آمنوا، **وآل البيت من المُعظَّمات في شريعتنا لكن إذا آمنوا، ولدينا ضوابط أخرى أيضًا، فالتقدير ليس بالنسب فقط،**

إذًا الارتباط بمُحمَّد صلى الله عليه وسلم يكون بأن تعيش على ما عاش عليه وأن ترتبط بمنهجه وأن تبذل لنُصرة دينه، وأن تؤمن بكُل ما نَزل عليه {وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّد}. وهذه هي الوقفة الثانية مسألة اسم السورة.

مرحلة العمل والبذل

فإذًا عندما تنظر تجد بذل وتضحية وجهاد وقتال، تجد في السورة مشهد ضرب رقاب متطايرة، وأُناس قُتِلوا في سبيل الله {وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ}، مشهد أنهار متتالية مُصفّاة في الجنة ثوابًا للمؤمنين، مشهد المكيدة التي يقوم بها المنافقون في السورة وارتباطهم مع أهل الكتاب ووجود نوع من الخفاء {وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} **لدينا في قراءة حفص، وفي قراءة أخرى أَسرارهم –بفتح الهمزة–**؛ لكثرة الأسرار، نجد صد عن سبيل الله، **السورة عندما تنظر فيها هي سورة متكاملة من صد الكافرين، خُبث المنافقين، كيد اليهود أعداء الدين، ثواب للمجاهدين، منهج النبي صلى الله عليه وسلم.**

ترى أنَّ من الكلمات التي تكررت كثيرًا في هذه السورة أكثر من عشر مرَّات تقريبًا؛ كلمة **أعمال** أو **عمل**، هذا اللفظ بجذره اللغوي، لماذا هذا التكرار خلال السورة؟ هذا وقت البذل، الكفار يبذلون ولا بُد أن يكون هناك بذل مقابل من المؤمنين {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ} [النساء ١٠٤] لكن الفارق بيننا وبينهم {وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ} [النساء ١٠٤]

كلمة الأعمال ذُكرت كثيرًا وبصيغة الجمع، **أعمال كثيرة تُبذَل**، هذه المرحلة المدنية تحديدًا –حينما انتقلنا من مكة إلى المدينة وفُرِض علينا القتال–، **مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية، مرحلة بذل**

متواصل، بذل متتالي متواصل لإقامة شريعة الله سبحانه وتعالى لإقامة دينه ونُصرة دينه {إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ}، فلا بُد من توطين النفس على بذل الأعمال فهم يبذلون أعمالًا في المقابل.

ذكرنا **تكرار العمل، تكرار كفروا وصدوا عن سبيل الله، تكرار المغفرة للسيئات وكأنَّ المجاهد أو الذي ينصر الدين ليس معصومًا قد يسقط في الخطأ** -وسنُشير إلى ذلك بإذن الله سبحانه وتعالى-.

كانت هذه نظرة سريعة عن موقع السورة في المصحف ونظرة عن الألفاظ التي تكررت، نبدأ سويًا بإذن الله سبحانه وتعالى.

البداية المُفاجِئة

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد ١]

يقول رَبُنا سبحانه وتعالى في أول آية وهذه بداية عجيبة جدًّا، وقد تعجَّب لها بعض المفسرين، فهناك سور تبدأ بحروف مُقطعة، سور أخرى تبدأ بإشارات معينة، لكن أول آية: {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ} إذا قرأها عليك شخص ما تعتقد أنَّها في وسط السورة، وأنَّها جاءت بعد مقدمات من شرح وتفصيل كعادة القرآن، لكن أن تكون البداية مُفاجِئة أنَّ **هناك كفار -باسم موصول- أي أنهم عريقين في الكفر**، وأضافوا إلى الكفر الصد عن سبيل الله، بداية وكأنَّهم اختاروا هذه الطريقة فلا بُد من طريقة مقابلة.

شيء عجيب جدًا مَن ينفي الجهاد بالرغم من أنَّهم يجاهدون، هم يصدون عن سبيل الله، كيف لنا أن نواجه الصد عن سبيل الله؟ لذلك شُرع القتال هنا بعد شوط طويل من المُحاجّة والتبيين والتوضيح فأصروا واستكبروا استكبارًا فجاء القتال لمواجهتهم {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ} بداية باسم موصول لأنهم عريقون في الكفر، أضافوا إلى الكفر الصد، قلنا الصد هو الدفع بقوة عن سبيل الله؛

إذًا دورُنا أن نصنع طريق للنَّاس يسيرون فيه والسبيل أشبه بالصراط، هو طريق سبَّلته السابلة أي سار عليه المشاة وأصبح طريقًا مطروقًا فيُسمى سبيل، يصلُح أن يسير النَّاس فيه؛ إذًا طريق الله يحتاج منا أن نوّضحه للنَّاس ويكون سهلًا حتى يسيروا عليه.

هناك فئة من النَّاس تكون حجَر عثرة أمام النَّاس، يصدّون عن سبيل الله، كُدْية في طريق النَّاس إلى الله سبحانه وتعالى، فدَورُنا أن نرفع هذه الكُدْية وأن نزيل هذا الحائط حتى يسير النَّاس في طريقهم إلى الله سبحانه وتعالى ويعودوا إلى فطرتهم {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ} -سنشرح ما معنى {أضل أعمالهم}-؛ هذا فريق.

آيتان وفريقان

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [محمد ٢]

هناك فريق مقابل لم يسكت على هذا الصد: {والذين آمنوا}، كما أن الكفار أضافوا إلى الكفر الصدّ عن سبيل الله، هؤلاء أضافوا إلى الإيمان {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}.

لدينا آيتان؛ {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم}، ضع هذه ناحية الشمال؛ لأن هؤلاء كفار،

- ولدينا {والذين آمنوا} مقابل {الذين كفروا}،
- {صدوا عن سبيل الله} مقابلها {وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم}، -جملة طويلة إلى حد ما-،
- هنا {أضل أعمالهم} مقابلها {كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}،

الإيمان بما نزل على محمد

إذًا الكفر أمامه إيمان، الصد عن سبيل الله كان أمامه {وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد}.

المفسرون تعجبوا، هم آمنوا وعملوا الصالحات، ما فائدة عطف {وآمنوا بما نزل على محمد}؟! أليست {آمنوا بما نزل على محمد} هي نفسها {آمنوا}؟ ما فائدة تكرار {وآمنوا} مرةً أخرى وإضافة كلمة {بما نُزل على محمد}وإضافة كلمة {وهو الحق من ربهم}؟!

{آمنوا} **الإيمان الأول أول ما جاء محمد أنه رسول الله؛ ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله،** هذا هو الإيمان الأول، ثم جاءت الأعمال الصالحات متتالية في المرحلة المكية ، كلما جاء عمل قاموا به، جاءت الصلاة فقاموا بها، جاءت الدعوة فدعوا إلى الله سبحانه وتعالى، طوال وجودهم في المرحلة المكية عملوا كل الأعمال التي فرضت؛ البر، وإطعام الفقير، والإحسان، الأعمال التي جاءت في المرحلة المكية.

انتقلوا إلى المدينة، نزلت أعمال جديدة فيها نوع من المشقة كالجهاد؛ لاختلاف طبيعة المرحلة، تلك كانت مرحلة الاستضعاف المكية، وهذه المرحلة مدنية، جاءت أعمال جديدة، من الممكن أن المؤمن كان لا يتصور أنه سيؤمر بهذه الأعمال مثل الجهاد مثلًا.

هناك أناس اختاروا الاستمرار على هدي محمد صلى الله عليه وسلم مهما كانت الأوامر، فمثلاً هناك أناس قد يقولون: الإيمان هو ماذا؟ أن أشهد لا إله إلا الله؟ سأقوم بذلك، وأن محمدًا رسول الله، سأقوم بذلك، وأصلي؟ سأقوم بذلك، وأزكي؟ سأقوم بذلك، إنما ألَّا أتعامل بالربا؟ لا، هنا يتوقف؛ فهذا آمن وعمل الصالحات، لكن لم يؤمن بكل ما نُزل على محمد، جاء عند مرحلة وتوقف.

هناك أناس يتوقفون قبل القتال، وأناس يتوقفون قبل الانتهاء عن الربا، وأناس يتوقفون قبل الزكاة، وأناس يكملون إلى آخر الطريق؛ لذلك نُزِّل فيهم معنى تدريجي أنهم كلما أُنزل عليهم أو نُزِّل عليهم أمر؛ قاموا به، {نُزِّل} -صيغة التفعيل: فَعَّل تفعيل- أحيانًا تفيد معنى التدريج، أنه كلما نزل أمرٌ يؤمنوا به.

لذلك في نفس السورة: {ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة}، أهل الإيمان مستعدون في كل مرة لنزول أمرٍ جديد، هناك أناس يأخذون أمرًا ويقولون: يكفي هذا، أنا أصلي فقط، تقول: لا، الصلاة يلزم بعدها أعمال، يقول لك: لا، أنا سأكتفي بالصلاة.

فكلمة {آمنوا بما نزل على محمد} أي: آمنوا بالأوامر الجديدة التي نزلت في المرحلة المدنية ومنها القتال، ولم يكتفوا بالإيمان العام، آمنوا بالدين التفصيلي المجزَّأ الذي نُزِّل على محمد خلال المرحلة المدنية.

وهذا الدين -بما فيه القتال- {هو الحق من ربهم}، الحق: هناك شيء يسمونه العقيدة القتالية، **فأي مجاهد أو أي مقاتل لكي يظل ثابتًا أثناء القتال ولا يفر في المعركة يحتاج إلى ثبات نفسي، الثبات النفسي يكون من داخله لا من خارجه...**

من خارجه: العُدة والعتاد والقوة، أن يعتمد على هذه الأشياء، هذا بالنسبة لغير المؤمن، بالنسبة للمؤمن يحتاج إلى ثبات داخلي، وأيضًا غير المؤمن، أيّ جيش من الكفار يحتاج إلى عقيدة نفسية بداخله تثبّته، يقال له: أنت على الحق، أنت إذا انتصرت سنحقق المجد مثلًا للوطن أو غير ذلك.

المؤمن لا بد أن يتذكر أنه الآن يسير على هدي محمد صلى الله عليه وسلم، هو الآن يرتبط بمحمد صلى الله عليه وسلم مباشرةً، {وآمنوا بما نزل على محمد} **وهو هذا الحق،** الآن أنت من جنود الحق،

والحق من {ربهم} وليس من الله، الربوبية فيها معنى التربية والإصلاح، هذا القتال فُرِض لإصلاحك، فُرِض لمصلحتك أنت، {وهو الحق من ربهم}.

تضليل الأعمال يقابلها تكفير السيئات

إذًا {وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد} هذه مقابل {وصدوا عن سبيل الله}، {أضل أعمالهم} مقابلها {كفر عنهم سيئاتهم}، ما معنى {أضل أعمالهم} حتى نعرف ما يقابلها معنى {كفر عنه سيئاتهم}؟

هنا لدينا آيتان في مقابل بعضهم البعض؛ لأن السورة في الأصل فريقان يصطدمان، لماذا؟ لأن أهل الإيمان يريدون الدعوة إلى الله -كما ذكرنا- في سبع سور {حم} ، وأهل الكفر رافضون، يُخرِجون شبهات وقمنا بالرد عليهم، يزخرفون باطلهم وقمنا بالرد عليهم، يشرِّعون دينًا باطلًا وقمنا بالرد عليهم،

ورغم ذلك منعوا وصول أهل الحق إلى الناس ونشر الدين؛ لذا لا بد من إزالة هذا الصد، لا بد من إزالة هذا المانع، رفْع هذه الكُدْية، حجر العثرة لابد أن يُرفع.

فهناك فريق من أهل الإيمان، وفريق من أهل الكفر، وبدأ بالكفر؛ لأن الكفر هو الذي بدأ بالظلم، ونحن نقول: كان من المفترض أن تسأل فلانًا: لماذا ارتد وليس لماذا آمن، آمَن هذا هو الطبيعي، هذه الفطرة، لكن لماذا ترك؟ لماذا صد عن سبيل الله؟ هو أصبح شاذ عن الكون، نحن قلنا {كفروا} مقابلها {آمنوا}.

{وصدوا عن سبيل الله} **لا بد من مقاومة هذا الصد، وذلك يُفسَّر معنى** {وعملوا الصالحات}؛ الصالحات هذه لفظ عام، قد يُفسَّر هنا بمعنى الإعداد للقتال، هذا من الأعمال الصالحات، سواء بالإعداد البدني، أو بالإعداد الروحي بالطاعات.

{وآمنوا بما نزل على محمد} كل تَبِعات الالتزام بهذا الدين من قتال وجهاد ودعوة إلى الله التزموا بها، وما ثوابهم؟ الفريق الأُوَل مصير أعمالهم {أضل أعمالهم}، كلمة {أعمالهم} أي؛ لهم أعمال كثيرة، تعبوا، كلمة {أعمالهم} أي؛ **الأعمال الحسنة التي كانوا يفعلونها من الإطعام، أو المكيدة والمكر والتخطيط لهدم لهذا الدين، كل هذه الأعمال ضاعت، ليس لهم ثواب**، هذا معنى {أضل أعمالهم} أي أحبط أعمالهم، ليس لها ثواب. أو كما قال الله عز وجل في سورة الأنفال {فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} [الأنفال ٣٦]، كل المكر والتخطيط والكيد سيذهب أثره بإذن الله سبحانه وتعالى، ويبقى هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ولو كره الكافرون، ولو كره المجرمون.

كلمة **ضَلَّ** يُقال في اللغة أنها من الممكن أن تأتي بمعنى ضلَّ اللبن في الماء، أي؛ كمية لبن قليلة نزلت في مياه كثيرة واختفت، لم يعد لها وجود، **فتأتي بمعنى الاختفاء، أو ضَلَّ أي تاه عن طريقه**، كان يريد شيئًا ثم لم يصل إليه، فلو قلنا: أذهَبَ ثواب الإطعام من الممكن أن تأتي بمعنى ضلَّ اللبن في الماء أي؛ هذه الأعمال انتهت، لم يكن لها أي أثر، أو ضل طريقهم؛ كانوا يسيرون في طريق لهدم هذا الدين ثم تاهوا ولم يصلوا إلى مرادهم.

مقابل {أضل أعمالهم} هناك؛ {كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}،هناك كلمة جميلة جدًّا" **أن الأعمال الحسنة مع الكفر ضاعت، والسيئات مع الإيمان وعمل الصالحات غُفِرت**"، إذًا قيمة الإيمان عالية.

هناك كانوا يُطعِمون، وإن كان إطعامهم له دلالة؛ لأن بعض المفسرين قالوا: هذه الآيات نزلت في الكفار المطعِمين يوم بدر لأنهم ظلوا يصرفون المال على الناس ويطعمونهم يوم بدر؛ لكي يقاتلوا معهم، أي كانوا يصرفون المال لأن لهم غرضًا خبيثًا، أما بالنسبة لأهل الإيمان {كفر عنهم سيئاتهم} وكأن الغرض الرئيسي لأهل الإيمان وأنهم قاتلوا وآمنوا بما نُزِّل على محمد؛ خوفًا من سيئاتهم.

وانتبه! **ليست كفَّر سيئاتهم**، بل {كفر عنهم سيئاتهم} **عن: يسمونه حرف تحمُّل أو يَحمل عنك التَبِعة**، الله سبحانه وتعالى يصرف عنك تَبِعات سيئاتك، و{كفر}؛ **غطَّى**، أنت خائف من سيئاتك، كلمة "سيئات" بالجمع -كما ذكرت- أن المجاهد لا يُشترَط أن يكون معصومًا، فالناس قد تعتقد أنه لكي تعمل للدين.. تقول له: ادعُ إلى الله، يقول: أأدعو إلى الله! كيف و أنا صاحب ذنوب!، وما المانع؟! ادعُ إلى الله، بل تقاتل وتجاهد في سبيل الله وأنت صاحب ذنب؛ يُغفَر لك هذا الذنب.

صلاح البال

{وأصلح بالهم} كلمة جميلة جدًّا، تكررت في السورة مرتين، في قراءة حفص معنا تكررت **قبل أن يُقتَلوا في سبيل الله، وبعد أن قُتِلوا في سبيل الله؛ فأصلح بالهم في الدنيا، وأصلح بالهم في الآخرة...** لدينا في قراءة حفص: {والذين قُتلوا في سبيل الله} بعد ذلك ربُنا قال: {ويصلح بالهم}، إذًا هذا بعد القتل، هناك قراءة أخرى {والذين قاتلوا في سبيل الله}، وسنذكر هذا إن شاء الله حين نأتي إليه في الحلقة القادمة بإذن الله سبحانه وتعالى.

ما معنى {أصلح بالهم}؟ المفسرون تكلموا كثيرًا عن معنى كلمة بال، حتى أن ابن عطية حاول أن يحلل اللفظ وقال: "**هذا محل التفكير، محل الفكرة، ومحل عمل الفكر وهو القلب**"، فأصلح بالهم كأنه أصلح عقيدتهم. ابن عاشور كانت له كلمة جميلة في كلمة {أصلح بالهم}، -

بعدما استفاض في معنى الإصلاح ومعنى البال، وفسر وذَكَر كلام أهل اللغة-؛ فقال: **"مفاد الكلام أنهم لا يفكرون أقام أنظارهم -أي أصبح يفكر بطريقة صحيحة-، فلا يفكرون إلا صالحًا، ولا يتدبرون إلا ناجحًا"** بمعنى أن كل الأفكار التي تخرج منه صحيحة، عقائده سليمة.

من وسائل إصلاح العقائد؛ العمل والبذل لنصرة دين الله. أحيانًا الشخص يعتقد أنه لكي يصرف عنه الشبهات أو لكي يكون صالح البال؛ أنه يبتعد عن المشقة في الدين، بالعكس، بذل المشقة، وبذل المهَج، وبذل المال والجهد في نصرة الدين يزيدك يقينًا، يجعل يقينك يزداد، ويجعل عقيدتك متينة راسخة، ويجعل درجاتك ترتفع عند الله سبحانه وتعالى، ويجعل بالك مرتاحاً. كما يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن الجهاد يصرف الله أو يُذهب الله به الغم)[٢].

المجاهد دائمًا باله مشغول، لماذا؟ لأنه مشغول عن بيته، مشغول عن أولاده، مشغول عن إصلاح ماله، يجاهد في سبيل الله؛ معارك، وتخطيط للعدو، ومكر للأعداء، وبالرغم من أن باله مشغول جدًّا، ربنا قال أصلح له باله.

تجد الداعية الذي يحاول أن يبذل أعلى ما يستطيع لنصرة الدين باله مشغول، مشغول عن بيته، مشغول عن أولاده، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن أول زمرة من المهاجرين يدخلون الجنة قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم في وصفهم: (حاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاءً)[٣] مشغول، عنده هموم حتى في بيته لا يستطيع لها قضاءًا؛ لا يملك الوقت، استعمله الله سبحانه وتعالى في ثغور الدين، أو استُعمل في نصرة المؤمنين، لا يملك الوقت، فباله من الممكن أن ينشغل بأولاده وبماله وبعمله وبأهله وبالتخطيط للأعداء، هذا البال يصلحه الله.

---

٢ [عن أبي أمامة الباهلي:] عليكم بالجِهادِ في سبيلِ اللهِ، فإنَّهُ بابٌ من أبوابِ الجنةِ، يُذهِبُ اللهُ بهِ الهَمَّ والغَمَّ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٤٠٦٣ • صحيح • أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٣٣٤)

٣ [عن عبدالله بن عمرو:] هل تدرونَ مَن أوَّلُ مَن يدخُلُ الجنَّةَ مِن خَلْقِ اللهِ؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ قال: أوَّلُ مَن يدخُلُ الجنَّةَ مِن اللهِ الفُقَراءُ المُهاجِرونَ الَّذينَ يُسَدُّ بهم الثُّغورُ وتُتَّقى بهم المَكارِهُ ويموتُ أحَدُهم وحاجتُه في صدرِه لا يستطيعُ لها قضاءً فيقولُ اللهُ لِمَن يشاءُ مِن ملائكتِه: ائتُوهم فحَيُّوهم فيقولُ الملائكةُ: ربَّنا نحنُ سُكّانُ سَماواتِكَ وخِيرتُكَ مِن خَلْقِكَ أفتأمُرُنا أنْ نأتيَ هؤلاءِ فنُسلِّمَ عليهم؟ قال: إنَّهم كانوا عبادًا يعبُدوني لا يُشرِكون بي شيئًا وتُسَدُّ بهم الثُّغورُ وتُتَّقى بهم المَكارِهُ ويموتُ أحَدُهم وحاجتُه في صدرِه لا يستطيعُ لها قضاءً قال: فتأتيهم الملائكةُ عندَ ذلكَ فيدخُلونَ عليهم مِن كلِّ بابٍ: {سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدّارِ} [الرعد: ٢٤])
ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٧٤٢١ • أخرجه في صحيحه

شيء عجيب جدًّا! الجهاد يظن الناس أنه موطن إشغال البال، موطن الهم، موطن الغم، موطن التعب، فتأتي نصوص القرآن والسنة لتقول عكس ذلك فهو موطن إصلاح البال، هو موطن ذهاب الهم والغم، على عكس تفكير الناس.

{وأصلح بالهم} كلمة جامعة، السعدي يقول: "**دينهم، ودنياهم، وأموالهم**" كل شيء، فكلمة البال كلمة عجيبة وكلمة جامعة.

تثبيت أهل الإيمان

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد ٣]

{ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم}

لماذا أضل الله أعمال هؤلاء، وأصلح أعمال هؤلاء، أو أصلح بال هؤلاء؟ لأن هؤلاء لم يكفروا فقط، بل كفروا واتّبعوا الباطل، وهؤلاء آمنوا واتبعوا الحق من ربهم،

فالمجاهد يحتاج تثبيتًا؛ أنت تقاتل على الحق، أنت تجاهد على الحق، المنافقون كانوا يحاولون أن يجعلوا المؤمن غير واثق في عقيدته، يقولون: { غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ } [الأنفال ٤٩]، واثق في دينه بشكل زائد، هؤلاء هم السفهاء { أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ } [البقرة ١٣]، وكأن القرآن يثبّت أهل الإيمان؛ أنتم على الحق، استمروا في قتالكم، استمروا في بذلكم وجهادكم ونصرتكم لدينكم.

{ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم} هنا شيء عجيب جدًّا أنهم لم يكتفوا بالكفر و هنا لدينا ثلاث آيات متتاليات؛

- الآية الأولى: {كفروا وصدوا عن سبيل الله}،
- والثانية: {آمنوا}،
- وبعد ذلك الآية الثالثة: الكفار اتبعوا الباطل وأهل الإيمان اتبعوا الحق،
- الآية الرابعة: {فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب}

أريدك أن تتخيل المشهد معي، آية: كفار وصدوا عن سبيل الله، وآية: الناس آمنت وآمنوا بما نُزل على محمد، وبعد ذلك الآية الثالثة: لم يكتفوا بالكفر، بل اتبعوا الباطل، وهؤلاء لم يكتفوا بالإيمان، بل اتبعوا الحق، ما دام هناك كفر، وهناك إيمان، وهناك أناس اتبعت الكفر، وهناك أناس اتبعت الإيمان؛ **لا بد من لقاء في الحرب، من المستحيل أن يكون اللقاء في أي مكان آخر، لا بد ستنتهي الأمور إلى الحرب**، مهما حدث من معاهدات واتفاقات؛ لا بد أن يتقاتل أهل الإيمان مع أهل الكفر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهودَ)[٤]، **الأمر سيظل في صراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة**، لن تحدث مُهادَنة تامة بين الحق والباطل، وإذا حدثت لم يعد الحق حقًّا، انقلب الحق مُدلَّسًا ومُلبَّسًا بالباطل.

مرة أخرى، متى حدث {فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب} متى حدث لقاء وصراع وحرب؟ عند وجود كفر واضح وإيمان واضح، ثم أهل الكفر اتَّبعوا أي: حوَّلوا الكفر لأعمال، وأهل الإيمان اتَّبعوا أي: حوَّلوا الإيمان لأعمال، الاكتفاء بمجرد القول بالإيمان ثم لا نُتبِع الإيمان بالأعمال لن يؤدي إلى الحق، من الممكن أن نصل إلى أن نتغاضى عن الكفر، لكن متى يحدث {فإذا لقيتم الذين كفروا}؟ **كفر صريح وصد عن سبيل الله، إيمان صريح واتّباع ما أُنزل على محمد، ثم اتّباع أهل الكفر للباطل، واتّباع من أهل الإيمان للحق؛ يحدث اللقاء** {فإذا لقيتم الذين كفروا}.

{ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل} ليس له أي منهج، وليس له أي أساس من الصحة، {وأن الذين آمنوا} لديهم منهج يسيرون عليه، واتبعوا الحق من ربهم، هكذا الأمثال تُضرَب، هكذا لا بد أن تُوضَّح للناس الأمثال، **لا بد أن نوضح للناس أن هناك فرقًا بين الحق والباطل، أو أن هناك فرقًا بين الإيمان والكفر، وأن قيمة الإيمان وقيمة التوحيد قيمة غالية يموت المؤمن لأجلها.**❤❤❤

٤ [عن أبي هريرة:] لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى يُقاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ حتّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِن وراءِ الحَجَرِ والشَّجَرِ، فيَقولُ الحَجَرُ أوِ الشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ يا عَبْدَ اللهِ هذا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعالَ فاقْتُلْهُ، إلّا الغَرْقَدَ، فإنَّه مِن شَجَرِ اليَهُودِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٩٢٢ • [صحيح]

كيف نقاتل؟ وإلى متى نقاتل؟ ولماذا نقاتل؟ ... الاثخان ثم الأسر، إلى آخر لحظة، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد ٤]

{فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب} لا تأخذكم بهم رأفة في دين الله هؤلاء الكفار، {فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء} أي؛ يستمر القتال معهم حتى نصل لهذه المرحلة نريد أن نصل مع الكفار إلى الحالة التي يكونون فيها {أثخنتموهم}.

ما معنى {أثخنتموهم}؟

لغةً: الشيء المثخَن يأتي بمعنى الشيء الصلب الذي يصعب تحريكه، أو شيء سائل مائع ثم تجمد أو قارب التجمد، لبن تتركه يتجمد، قارَب التجمد، فقالوا: "**المعنى الجامع؛ صعوبة التحرك**، سواء شيء صلب يصعب حركته، أو مائع تجمد فأصبح سيلانه صعبا". فالمعنى؛ **تَصعُب حركة الكفار ويصعب تخطيطهم ومكرهم، عندما تكون لك جولة انتصار على الكفار لا تكتفِ بالانتصار السطحي، لا بد أن تصل بالانتصار إلى مرحلة العمق والإثخان، أن تقطع الأطراف؛ حتى لا يستطيع العودة مرةً أخرى.**

الخطورة أنه أحيانًا تأتي جولة لانتصار أهل الإيمان، ثم يكتفوا بأول نصر مبدئي، لا، {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ}[الأنفال ٦٧]، وهذا هو الإشكال الذي حدث في غزوة بدر؛ فعادوا في أُحُد، لو كان الإثخان تمَّ في بدر وقُطعت رؤوس الكفار؛ لم يكن ليعودوا في أُحُد، لكن لأن الإثخان كان ضعيفًا ولم يكن بقوة في بدر؛ عادوا مرة أخرى في أُحُد.

{حتى إذا أثخنتموهم} وصلنا لمرحلة الإضعاف، ننتقل إلى مرحلة الأسر {فشدوا الوثاق}، أَحكِم الأسر،

{فإما منا بعد وإما فداء} هنا باب طويل في الخلاف في مسألة كيفية التعامل مع الأسير وأحكام الأسير، هل هذه الآية منسوخة بآية القتل، أو هذه الآية ناسخة؟ الأمر على خلاف طويل، **والراجح بإذن الله سبحانه وتعالى كما ذكر بعض أهل العلم أنها مُحكَمة، وأن الإمام الذي يحكم بشرع الله سبحانه وتعالى العادل مُخيَّر بين المَنّ والفداء، أو بالقتل والاسترقاق** على مذهب -كما ذُكر- للشافعي ومالك وغيره، و إن كان الأحناف خالفوه -أو المشهور عنهم-، والخلاف من الممكن أن يُرجَع فيه إلى كتب أحكام القرآن.

{فإما منا بعد وإما فداء}

إلى متى يستمر القتال؟ {حتى تضع الحرب أوزارها}، كأن الحرب تحمل أوزارًا ثقيلة، ويستمر القتال حتى تضع الحرب أوزارها، إذًا متى نتوقف عن القتال؟ من الممكن شخص يسأل إلى متى نجاهد؟ أو متى يتوقف القتال؟ تأتي الآية {حتى تضع الحرب أوزارها}.

المفسرون اختلفوا،

- قالوا: حتى ينزل المسيح في آخر الزمان،
- وقالوا: حتى يُسلِم كل الكفار،
- وقالوا: حتى يصل الكفار إلى حالة لن يستطيعوا بعدها أن يقاتلوا،

قال ابن عطية بعد أن ذكر هذه الأقوال: "هذا أشبه بتعبير افعل ذلك إلى يوم القيامة" أي: لا تتوقف، أي أن كلمة {حتى تضع الحرب أوزارها}، لن تتوقف أبدًا،

وإن كان ابن عاشور خالف وقال: "حتى هنا تأتي ليست للغاية، ولكن للتعليل"، أي؛ تفعل ذلك لكي تنهار قوى الكفار،

الشاهد أن المعنى أن تستمر بالقتال إلى آخر لحظة، إلى آخر كافرٍ يصد عن سبيل الله وتمنعه، ويُسلِم الجميع.

{حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم}

{ذلك} أي: هذا القتال وهذه الحرب، قد يتساءل إنسان: لماذا لا ينصرنا الله؟ لماذا يتركنا نحن نقاتل فالله يقول: أنا قادر على أن أنصركم، أنا قادر على أن أهلكهم بصيحة واحدة، بمَلَك واحد، بأضعف جند من جنود الله... بالريح مثلا يرسلها الله عليهم.

{ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن} وهذه نقطة مهمة و خطيرة جدًّا جدًّا سنفصِّلها إن شاء الله في بداية الحلقة القادمة؛ لماذا لا ينصر الله سبحانه وتعالى المؤمنين على الكافرين مرةً واحدة؟ لماذا لا يُهلِك الله الكفار مرةً واحدة بصيحةٍ واحدة ويستريح أهل الإيمان؟

بإذن الله عز وجل في الحلقة القادمة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيراً.